

التفسير المطول - سورة الأعراف ٠٠٧ - الدرس (٥٥-٦٠): تفسير الآية ١٨٨ ، النفع والضرر بيد الله وحده

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠١-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل ، والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

الكاذب من ادعى معرفته بالغيب وأنه يملك للآخرين نفعاً أو ضرراً :

أيها الأخوة الكرام ... مع الدرس الخامس والخمسين من دروس سورة الأعراف ، ومع الآية الثامنة والثمانين بعد المئة ، وهي قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا

مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

أيها الأخوة ، هذه الآية لها دلالات كبيرة جداً ، ذلك أن الله يأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يبين للناس أنه رسول هذه الأمة ، وأنه نبي هذه الأمة ، ومع أنه سيد ولد آدم ، ومع أنه سيد الأنبياء والمرسلين ، ومع أنه حبيب الحق ، وسيد الخلق ، لا يعلم الغيب ، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً . ماذا أراد الله من هذه الآية ؟ أي إنسان



الكاذب من يدعي معرفته بالغيب وأنه يملك للآخرين النفع والضرر

من آدم إلى يوم القيامة يدعي أنه يملك للآخرين نفعاً أو ضرراً فهو كاذب ، وأي إنسان من آدم إلى يوم القيامة يدعي أنه يعلم الغيب فهو كاذب ، هذا مقام النبي عليه الصلاة والسلام ، مقام النبي وهو فوق كل المقامات ، وهو رسول فوق كل الرسل ، ومع ذلك لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، فلأن لا يملك لغيره من باب أولى وهو لا يعلم الغيب .

النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب و لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً :

هل تصدقون أن هذه الآية وحدها يمكن أن تنفي نفيًا قاطعاً ملايين القصص التي لا أصل لها ؟ هذا الدين دين الله ، هناك مبادئ في هذا القرآن الكريم ، أي إنسان يدّعي أنه يعلم الغيب ، أي إنسان يدّعي أنه يقدم لك شيئاً ، يستطيع أن ينفكك ، أو أن يضرك ، فهو كاذب ، هذا هو أعلى مقام في بني البشر ، هناك أخطاء كبيرة جداً يقع بها الناس ، مثلاً :



إنسان يسأل شخصاً يعمل في الحقل الديني (إمام مسجد ، خطيب مسجد)سؤالاً يعطيه فتوى ، يظن هذا السائل أن هذه الفتوى تعفيه من المسؤولية ، ولو علم مقولة النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :

((ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من أخيه فمَنْ قَضَيْتَ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمر]

لو كنت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، وانتزعت من فمه الشريف فتوى منه وهو المعصوم لصالحك ، ولم تكن محقاً لا تنجو من عذاب الله .

إذاً النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لنا نفعاً ولا ضرراً :

﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾

(سورة الفرقان الآية : ٣)

لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب .

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(سورة الأنعام)

التوحيد أن تتجه إلى الله وحده بمعية رسول الله :

النبي عليه الصلاة والسلام يخاف أن يقع في خطأ ، حينما تعرف ما معنى مقام النبوة والرسالة ، مقام الطاعة ، مقام الخضوع ، مقام الاتباع ، لا مقام أن للنبي مقام ، أن للنبي إرادة مستقلة عن إرادة الله ، ينفع ويضر ، ويعطي ، ويمنع ، لا ، هذا الدين دين التوحيد .

سيدنا الصديق من أقرب الناس لرسول
الله ، من أشدهم حباً له ، من أشدهم
طاعة لتوجيهاته ، لما توفي النبي عليه
الصلاة والسلام ماذا قال ؟ قال : من
كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ،
ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت
، أراد أن يؤكد التوحيد ، الله وحده ينفع
ويضر ، الله وحده يعلم الغيب ، الله
وحده ينفع ، الله وحده يُعلي ، الله وحده



يخفض ، هو المانع ، هو المعلي ، هو الخافض ، هو المعز ، هو المذل ، هو الرزاق ، التوحيد أن
تتجه إلى الله وحده بمعية رسول الله .

﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾

(سورة الفرقان)

التوحيد أن تعبد الله وحده ، أن تعقد الأمل على الله وحده ، التوحيد أن تثق بالله وحده ، التوحيد أن
تطيع الله وحده ، وأن تطيع رسوله أيضاً لأنه أمرك أن تطيع رسوله .

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(سورة الحشر الآية : ٧)

التوحيد أن توقن أن طاعة رسول الله هي عين طاعة رسول الله ، وأن طاعة الله هي عين طاعة
رسول الله .

التوحيد ألا ترى مع الله أحداً :

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾

(سورة التوبة الآية : ٦٢)



بضمير المفرد ، فلذلك آية دقيقة جداً ،
وآية فاصلة ترد بها مليون قصة لا أصل
لها ، مليون شطحة ، مليون بدعة ،
التوحيد ألا ترى مع الله أحداً ، التوحيد
أن تعلم علم اليقين أنه وحده هو الرافع ،
وحده هو الخافض ، وحده هو المعز ،
وحده هو المذل ، وحده هو المانع ،

تفسير الآية ١٨٨ ، النفع والضر بيد الله وحده

ولكن لأن النبي عليه الصلاة والسلام معصوم ، ولأن الله سبحانه وتعالى أمرك أن تطيعه .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

(سورة المائدة الآية : ٩٢)

استقلالاً ، أطيعوا الله ورسوله لها معنى ، أما

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

أي أنك تطيع رسول الله لكن الذي يعطي ويمنع هو الله ، والذي يرفع ويخفض هو الله ، والذي يعز ويذل هو الله ، والذي يحيي ويميت هو الله .

قال أحد الخطباء أمام رسول الله : ما شاء الله وشئت يا رسول الله ، قال : بئس الخطيب أنت ، جعلتني لله نداً ، قل ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ، فقط ، بئس الخطيب أنت جعلتني لله نداً .

إعلام الله عز وجل نبيه ببعض الغيب :

الله عز وجل يبين مقام العبودية الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام في قمة هذا المقام

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا

مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

أنا لا أملك النفع لكم ، ولا لنفسي ، لا أملك الضر لكم ولا لنفسي ، ولا أعلم الغيب ، إلا إذا أعلمني الله هذا الغيب .

﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ

أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾

(سورة الجن)

أحاديث قيام الساعة لا تعني أن النبي

يعلم الغيب ، ولكن تعني أن الله سبحانه

وتعالى أعلم نبيه ببعض عالم الغيب ،

إعلام الله عز وجل نبيه ببعض الغيب

هذه عقيدة ، هذا هو التوحيد .

فذلك هؤلاء الدجاجلة ، والمشعورون ، والكذابون ، والذين يسحرون الناس ، ويسلبون عقولهم ، ويربطونهم بنواتهم ، أساساً ليس هناك على وجه الأرض فرقة ضالة إلا ولها هذه الخصائص ، تأليه الأشخاص ، شيخ يعلم الغيب ! إذا كان سيد الخلق وحبيب الحق لا يعلم الغيب أنى له أن يعلم الغيب ؟ شيخ ينفع ويضر ! مستحيل ! إذا كان سيد الخلق وحبيب الحق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، فلأن لا يملك أي إنسان النفع والضرر من باب أولى ، هذه العقيدة ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، أنا لا أتصور على وجه الأرض إنساناً أشد حباً لرسول الله من الصديق ، ومع ذلك

الصديق موحد ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

التوحيد يلغي دور المشعوذين والمتسكعين الذين يبتزون أموال الناس بالباطل :

هذا التوحيد يلغي دور المشعوذين ، والدجاجلة ، والمتسكعين ، الذين يبتزون أموال الناس بالباطل ، فضلاً عن السحرة والمنجمين وما إلى ذلك ، أنت مؤمن ، الله وحده يعلم ، الله وحده قادر ، وأنت ذائب في محبة رسول الله ، أحبه ما شئت ، قدره ما شئت ، تامل أخلاقه ما شئت ، بالغ في محبته ما شئت ، الباب مفتوح هنا ، أما أن تعتقد أن له إرادة مستقلة عن إرادة الله ؟ ينفع ويضر ؟ مستحيل! .

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً ﴾

طبعاً من باب أولى فلأن لا أملك لكم نفعاً ولا ضرراً من باب أولى .



مثل للتوضيح : يقول لي شخص : أرجوك أن تؤمن لي عملاً لابني ، أقول له : هل لديك فرصة عمل لابني أنا ؟ إذا كنت أنا لا أملك لنفسي أن أومن عملاً لابني ، من باب أنني لا أستطيع أن أومن عملاً لابنك ، طبيعي جداً . هذا هو مقام النبوة ، مقام العبودية لله .
﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾

(سورة الجن الآية : ١٩)

وحيثما بلغ :

﴿ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ﴾

(سورة النجم)

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾

(سورة النجم)

هذه نقطة دقيقة جداً ، هذه الآية فاصلة ، هذه الآية مركزية ، هذه الآية بإمكانك أن تعتمد عليها ، لنفي ملايين القصص الباطلة التي لا أصل لها .

العاقل من ابتعد عن المشكلات التي تسبب شرخاً بين الفئات الإسلامية :

شيء آخر ، الشيء بالشيء يذكر :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(سورة البقرة)

كن واقعياً ، هناك من ينبش في التاريخ
لعداوة قديمة بين فئتين ، ويجلبها ،
ويثيرها الآن ، هؤلاء الآن سبقوا أمرهم
إلى الله ،

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ

مَا كَسَبْتُمْ ﴾

وفر وقتك

﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

هذا الذي يستورد من التاريخ المشكلات

ويثيرها الآن لإيقاع شرح بين الفئات الإسلامية ، أن الأوان أن ننهي من هذا ، هذا التاريخ دعه
للاختصاصيين ، أما أن تقم نفسك في رواية تاريخية لم تثبت ، ولم تقع .
المشكلة الكبرى أن أكبر كتاب تاريخ بين أيدينا تاريخ الطبري ، يقول المؤلف في مقدمته : أنا
أدرجت في هذا الكتاب كل ما وصل إلى سمعي من حق أو باطل ، من رواية صحيحة أو غير
صحيحة ، وأيها القارئ محص أنت ، هذه المقدمة يجب أن تكتب في كل صفحة في هذا الكتاب ،
أعداء الدين يقبون في هذا الكتاب ، ويأتون بروايات غير معقولة ، هو المؤلف صرح بهذا .
ولم يتح بالمناسبة للتاريخ الإسلامي رجال ثقات محققون كما أتيح لعلم الحديث ، فذلك أكثر أعداء
الدين يأتون بروايات باطلة لا أصل لها ، من وضع الزنادقة في التاريخ الإسلامي ليشوهوا صورة
الإسلام في عصر ازدهاره .

على كل إنسان ألا يقبل أية رواية تتناقض مع الفطرة والعقل و كمال الصحابة :

يجب أن تسأل من لم يأخذ العلم عن الرجال فهو ينتقل من محال إلى محال ، لا تستطيع أيها
الطالب طالب العلم لمعلوماتك المحدودة أن تكتفي بالكتاب ، في الكتاب الغث والثلثين



في الكتاب الحق والباطل ، أي كتاب
مؤلف فيه صح وفيه خطأ ، فيه غث
وفيه ثمين ، فيه ثغرات ، فهؤلاء أعداء
الدين يتصيدون هذه الثغرات ،
ويجمعونها ، ويقولون هذا هو الدين ،



على كل إنسان ألا يقبل أية رواية تتناقض مع الفطرة
والعقل

تفسير الآية ١٨٨ ، النفع والضرر بيد الله

غير صحيح هذا الكلام ، اعتقد اعتقاداً جازماً أنه لم يتح للتاريخ الإسلامي رجال ثقاة ، علماء كبار دققوا ومحصوا في رواياتهم كما أتيح للحديث الشريف ، إذاً لا تقبل أية رواية ، تتناقض مع الفطرة ، ومع العقل ، ومع كمال الصحابة الكرام .

لماذا عزل سيدنا عمر سيدنا خالد ؟ قيل : هناك عداوات في الجاهلية قديمة فلما تملك السلطة شفى حقه من هذا الصحابي الجليل فعزله ، هكذا بعض الروايات ، اركلها بقدمك ، يا أمير المؤمنين لم عزلتني (سيدنا خالد)؟ قال له : والله إني أحبك ، قال له : لم عزلتني ؟ قال له : والله إني أحبك ، قال له : لم عزلتني ؟ قال له : والله ما عزلتك يا بن الوليد إلا مخافة أن يفتتن الناس بك ، لكثرة ما أبليت في سبيل الله ، حفاظاً على التوحيد عزلتك ، قال الناس خالد أية معركة يقودها ينتصر ، أراد عملاق الإسلام عمر أن يبين للأمة أن الناصر هو الله ، وأن سيدنا خالد على علو مقامه عبد الله ، فعزله والنصر استمر .

التاريخ يحتاج إلى تمحيص و تدقيق و مراجعة كثيرة لمعظم الروايات التاريخية :

لا تستطيع أن تفهم التاريخ إلا إذا كنت في مستوى أبطاله ، بعضهم من يفسر أنه عزله خوفاً منه ، يعمل عليه انقلاب ، إياك أن تفهم التاريخ تاريخ الصحابة بمنطق العصر ، حسن الظن بالله ، وبأنبياء الله ، وبأصحاب رسول الله من الإيمان ، نحتاج إلى تمحيص كثير ، نحتاج إلى مراجعة كثيرة لمعظم الروايات التاريخية ، وحسبكم أن أكبر مؤلف كتاب تاريخ الطبري يقول : أنا أدرجت في هذا الكتاب الغث والثمين ، والصحيح وغير الصحيح ، وأيها القارئ محص أنت ، كان هناك ثقة بطلاب العلم ، جمع لك في هذا الكتاب كل ما وقعت يده عليه ، أما الآن يقول لك بالطبري موجودة هذه ؟ اقرأ مقدمة الطبري .
لذلك :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾

والله هناك آلاف القصص لا أصل لها إطلاقاً ، من وضع الزنادقة .

الإنسان حينما يكتب بالنقل من دون تدقيق ، من دون تمحيص ، من دون بحث ، من دون درس ، من دون أن تأخذ العلم على أيدي علماء كبار لن تستفيد شيئاً .

أيضاً ورد في بعض الكتب أن امرأة وضيفة حسناء صلت بين الصحابة ،



التاريخ يحتاج إلى تدقيق و مراجعة كثيرة لمعظم الروايات التاريخية

فصلى بعضهم وراءها ، ليرى محاسنها أثناء ركوعها وسجودها ، وبعضهم صلى أمامها ، فنزل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾

(سورة الحجر)

هذه أخلاق صحابة هذه ؟ هل يجوز أن تصلي امرأة بين الصحابة ؟ إذا صلت امرأة في الصف فالصلاة باطلة ، ممنوع أن تحاذي امرأة في الصلاة ، فكيف أن تصلي وراءها ؟ وصفوف النساء في آخر المسجد دائماً .

يعني حينما نصل إلى مثل هذه الروايات نرى الصحابة أشخاصاً عاديين جداً ، وأقل من عاديين . رواية ثانية : أراد سيدنا علي أن يخطب فتاة رفع ثوبها إلى الأعلى ، معقول؟! هل يجرو خطيب الآن أن يفعلها ؟ أما أبيها ، قالت له : لولا أنك أمير المؤمنين لسملت عينيك . ما هذه الروايات يا أخوان ؟ صدقوا والله الذي لا إله إلا هو الصحابة الكرام في مستوى رائع جداً ، والله المؤمن العادي الآن في مستوى رفيع .

الله عز وجل عطاؤه نعمة وأخذة نعمة :

أيها الأخوة الكرام ،

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾

إذا الله عز وجل مكني من شيء وانتفعت ، هذا من فضل الله عز وجل ، وأحياناً الله عز وجل لحكمة بالغة يمنعني من شيء ، أنا أتوهم ذلك ضر ، هو في الحقيقة منع ، منع رحمة بنا ، إن الله ليحمني صفيه من الدنيا ، كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام ، أحياناً الله عز وجل يعطيني ، فهذا الخير من الله ، الله مكني منه ، وأحياناً الله عز وجل يمنعني من شيء ، أما الكلمة الرائعة ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك ، وإذا كشفت لك حكمة المنع عاد المنع عين العطاء ، فالمؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام :

((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ

شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))

[أخرجه مسلم عن صهيب الرومي]

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾

أو ما اقتضت حكمته من ضر ، وهذا الضر في ظاهره ضر ، أما هو نعمة باطنة ، نعمة باطنة من نعم الله عز وجل ، عطاؤه نعمة وأخذة نعمة .

﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾



مثلاً يقول لك عرضوا عليّ أرضاً (٢٥ دنم) بخمسة و عشرين ألف ليرة ، اليوم ثمن الدنم خمسة ملايين ، لو أن هذا الذي عُرض عليه الأرض يعلم الغيب يوافق على الشراء فوراً ، لا أحد يعلم الغيب ، التجار لهم كلمة لطيفة يقول لك : تاجر ومنجم لا يوجد ، لو أنك تعلم ما سيكون بعد حين ، الذي اشترى فرضاً بمئة مليون حديد ، الطن بتسعة و ستين

ألفاً على أمل أن يبيعه بمئة ألف ، اليوم بستة و عشرين ألفاً طن الحديد ، لو كان يعلم الغيب لما فعل ، هذا خسر أربعة أخماس ماله .

﴿ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾

إنسان يموت أثناء السفر لا يسافر ، يعني للتعبير عن حقيقة التوحيد .
يروى أن فرعون رأى أن طفلاً من بني إسرائيل سيقضي على ملكه ، فأمر بقتل أبناء بني إسرائيل جميعاً .

﴿ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾

(سورة القصص الآية : ٤)

أما الطفل الذي سيقضي على ملكه رياه في قصره ، أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد .

مهمة النبي عليه الصلاة والسلام نذير و بشير و الإنسان مخير :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴾

الآن الله عز وجل حدد لك مهمة النبي نذير و بشير .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

(سورة القصص الآية : ٥٦)

الإنسان مخير .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾

(سورة البقرة الآية : ٢٧٢)

لست مسؤولاً إن لم يؤمنوا كما أنك لا تستطيع أن تهديهم ،



الرسول دعانا إلى الله وأنت مخير إما أن تستجيب أو ترفض

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾

أي أنت لست مسؤولاً إن لم يهتدوا ،

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

أنت لا تستطيع هداية عمك قل يا عم لا إله إلا الله ، أبداً ما قالها

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

(سورة المسد)

، عمه

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة الشورى)

لا ينتفع من سنة النبي إلا من أراد الآخرة و سعى لها :

أيها الأخوة ،

﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾



يعني ما من قضية مهما دقت تقربكم من الله إلا بينها لكم ، وما من قضية مهما دقت تبعدكم عن الله إلا بينها لكم ، هذه مهمتي ، أما هناك قضايا ، ملايين القضايا لا تقرب ولا تبعد ، هل يعقل أن يعرف النبي الجهاز الهضمي للضفدع مثلاً ؟ ليس له علاقة فيها ، هناك من يضم علماً مطلقاً ، العلم المطلق علم الله عز وجل ، أما النبي الكريم أي جزئية

مهما دقت تقرب من الله يبينها ، أية جزئية مهما دقت تبعد عن الله يبينها .

﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾

لكن لمن ؟

﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(سورة البقرة)

لمن أراد الإيمان ، أما الذي لم يرد الإيمان لا يصغي إلى أقوال النبي الكريم .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(سورة الأحزاب الآية : ٢١)

إنسان ليس له علاقة بالعلم إطلاقاً ، ولا طلب العلم ، ولا قرأ ، ولا كتب ، لو وقف أمام مكتبة هل تعنيه الكتب ؟ إطلاقاً ، لا يقف أمامها أصلاً ، لكن طالب دكتوراه مرّ أمام مكتبة ، فيها كتب متعلقة باختصاصه ، يقف ، يدخل ، الكتاب الفلاني ، الكتاب الفلاني ، لا ينتفع من سنة النبي إلا من أراد الآخرة .

من أراد الإيمان بالله عز وجل كل شيء في الكون يدلّه عليه :

لذلك

﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾

(سورة البقرة)

يؤمنون بالغيب ، فلذلك هناك فكرة دقيقة جداً ، هذه الفكرة أن الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

﴿

(سورة آل عمران)

عجيب ! أنا أتصور أنتم بهذه الآية تؤمنون ،

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

﴿



من أراد الإيمان بالله عز وجل فكل شيء في الكون يدلّه عليه

كأنه فيما يبدو القضية معكوسة ، ليست معكوسة ، هذا هو الأصل ، الذي اتخذ قراراً أن يؤمن أي شيء يدلّه على الله ، والذي اتخذ قراراً ألا يؤمن لو كان يعمل في مرصد فلكي يرى المجرات بعينه ، أو في مجهر إلكتروني يرى الخلية بعينه ، لا يؤمن .

حينما تتخذ قراراً أن تؤمن كل شيء في الكون يدلّه على الله ، وحينما تتخذ قراراً داخلياً بعدم الإيمان لو رأيت الآيات صارخات ، واضحات ، جليات لا تؤمن ، يعني الذي أراد الإيمان يشبه آلة تصوير ، فيها فيلم ، فكل هذه المناظر طبعت على هذا الفيلم ، أما الذي لم يرد الإيمان يشبه آلة تصوير لكن بلا فيلم ، كل هذه اللقطات لأنه ما أراد الإيمان لا تتطبع على قلبه ، هذا السؤال المشهور أن

هؤلاء علماء الغرب الذين تفوقوا في العلوم لماذا هم غير مؤمنين ؟ إنهم ما أراد الإيمان أصلاً ، أرادوا الشهادة ، أرادوا الشهرة ، أرادوا التألق الاجتماعي ، أرادوا الثروة الطائلة ، وقد حصلوها ، أما هذا العلم إن أردته الله عندئذٍ تكشف لك الحقائق ، حقائق الدين الدقيقة .

خيار الإنسان مع الإيمان ليس خيار قبول أو رفض بل هو خيار وقت :

كل الذين يأتيهم ملك الموت يرون الحقيقة التي جاء بها الأنبياء ، أكبر دليل على ذلك أن فرعون عندما بدأ يغرق آمن بالذي جاء به سيدنا موسى ، لكنه آمن بعد فوات الأوان ، الآية الكريمة :

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

(سورة ق)



جميع الحقائق التي جاء بها الأنبياء الذين يأتيهم ملك الموت ، يرونها ناصعة جلية واضحة ، ولكن بعد فوات الأوان .

لذلك أيها الأخوة ، خيارك مع الإيمان ليس خيار قبول أو رفض ، بل هو خيار وقت لماذا ؟ إما أن تؤمن في الوقت المناسب ، فتنتفع بإيمانك ، أو أن تؤمن بعد فوات الوقت المناسب ولن تنتفع بهذا الإيمان .

﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾

(سورة الأنعام الآية : ١٥٨)

فأنت خيارك مع الإيمان خيار وقت ، إما أن تؤمن في الوقت المناسب ، وإما أن تؤمن بعد فوات الأوان ، الآية الكريمة دقيقة جداً ، وبإمكانك أن تعتمد عليها في كل قصة وردت في الكتب تتناقض مع كمال الله ، تتناقض مع رحمته ، تتناقض مع علمه ، تتناقض مع كمال الأنبياء ، تتناقض مع كمال سيد الأنبياء والمرسلين ، تتناقض مع الصحابة الكرام ، هذه القصص من وضع الزنادقة .

على الإنسان ألا يقبل شيئاً في الدين من دون دليل من كتاب الله أو سنة رسوله :

قال بعض واضعي الحديث : وضعت فيكم مئة ألف حديث ، حرمت فيها الحلال وحللت فيها الحرام ، من أجل التبييس .

كل الناس هلكى إلا العالمون ، والعالمون هلكى إلا العاملون ، والعاملون هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم .

حديث للتبئيس وضعه الزنادقة ، هذا الدين علم .

((إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم))

[مسلم عن ابن سيرين]

((ابن عمر ، دينك دينك ، إنه لحمك ودمك ، خذ عن الذين استقاموا ، ولا تأخذ عن الذين مالوا))

[كنز العمال عن ابن عمر]



على الإنسان ألا يقبل شيئاً في الدين من دون دليل من كتاب الله أو سنة رسوله

لا تقبل شيئاً في الدين من دون دليل من كتاب الله ، أو مما صحّ من سنة رسول الله ولا ترفض شيئاً في الدين إذا كان معه دليل من كتاب الله ، ومما صحّ من كتاب رسول الله ، أما أن تقرأ أي كتاب ، أن تستمع إلى أي إنسان ، أقول لك كما قال النبي الكريم لابن عمر :

((ابن عمر ، دينك دينك ، إنه لحمك ودمك ، خذ عن الذين استقاموا . استقاموا في عقيدتهم . ولا تأخذ عن الذين مالوا . مالوا منحرفين .))

[كنز العمال عن ابن عمر]

هذه الآية يمكن أن تنفي بها مليون قصة باطلة ، فيها باطل ، فيها انحراف ، فيها موازين خاطئة .

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا : هذه الآية ميزان أي إنسان على وجه الأرض :

لذلك أقول لكم أيها الأخوة ، لأن تخطئ في الوزن أفضل ألف مرة من أن تخطئ في الميزان ، الخطأ في الميزان لا يصحح



إذا الميزان غلط هذه مشكلة ، أما الخطأ في الوزن لا يتكرر ، يعني ممكن ميزان دقيق جداً لكن ما انتبه البائع ظن الكيلو كيلو و نصف ، هذا خطأ في الوزن لا يتكرر ، أما إذا أصل الميزان خطأ يعني في كفة فيها مئة غرام زائد ، لو استخدمنا مليون مرة المليون مرة غير

تفسير الآية ١٨٨ ، النفع والضرب بيد الله وحده

صحيح ، لأن تخطئ في الوزن أفضل ألف مرة من أن تخطئ في الميزان .
 هذه الآية ميزان أي إنسان على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة مهما لمع نجمه إذا أوهمك أنه يعلم الغيب قل له أنت كذاب أشر ، لأن هذا لم ينله رسول الله ، قال : لا أعلم الغيب .

﴿ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾

أي إنسان يقول لك : أنا أملك أن أنفك
 أو أن أضرك ، قل له : الذي يملك النفع
 والضر هو الله ، الذي يملك الموت
 والحياة هو الله ، الذي يملك الرزق هو
 الله ، هذه الآية أصل في التوحيد ، وما
 تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، هذه
 الآية يمكن أن تكون آية مركزية ، آية
 فاصلة ، آية يمكن أن تنفي بها مليون
 قصة .



والآية التي ذكرتها من باب الشيء بالشيء يذكر :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

أي رواية تاريخية لقوم مضوا ، وقعت أو لم تقع هذا ليس من شأننا ، أنا معي كتاب ، معي منهج ، معي منهج تفصيلي ، علي أن أعرف الله وأن أتبع هذا المنهج وانتهى الأمر ، لا تقم قضية تاريخية تستوردها من التاريخ ، وتسهم في شق صفوف المسلمين ، التاريخ دعه لخبرائه ،

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

هناك من المسلمين من يحرص على الغوص في أعماق التاريخ ليقرأه قراءة مغلوبة حتى يقيم شرحاً في العالم الإسلامي ، هذا خطأ كبير .

هاتان الآيتان تنفي بهما ملايين القصص التي ربما أعاققت الطريق إلى الله .

والحمد لله رب العالمين